كاصد ياسر الزيدي

منهج الجلالين في تفسير القرآن الكريم

القسم الأول

يعد تفسير الجلالين للامامين جلال الدين السيوطي(١) المتوفى سنة ٩١١هـ وجلال الدين المحلي(٢) المتوفى سنة ٨٦٤هـ، من أشهر التفاسير وأجلها، وقد نال ثناء كثير من العلماء والمحققين في مختلف العصور، قال ابن العماد الحنبلي في

(١) هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي ولد في القاهرة سنة ٨٤٩هـ، وأخذ العلم عن كبار العلماء كالمحلي وغيره، ودرس كثيرا من متون النحو واللغة والفقه والحديث والمنطق وغيرها، كان غزير التأليف يميل الى الجمع، الا أنه معترف له بالعلمية، حتى عد أعلم أهل زمانه في الحديث. وحين بلغ الاربعين انقطع للعبادة وترك الافتاء والتدريس اللذين كان يزاولهما. توفي في القاهرة بعد ان مرض سبعة أيام. والسيوطي نسبة الى أسيوط المدينة المعروفة في صعيد مصر كما دل عليه كلامه في كتابيه: حسن المحاضرة، ولب الالباب. (ينظر مقدمة بغية الوعاة بقلم محمد أبي الفضل ص ١٠، ونظم العقيان في أعيان الاعيان للسيوطي هامش ص ٣٥).

(٢) هو جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، ولد بمصر سنة ٧٩١هـ، وكان آية في الذكاء، بارعا في مختلف العلوم الاسلامية، ورعا صالحا، جريئا في الحق، يواجه بذلك أكابر الحكام والظلمة في زمانه، وقد عرض عليه القضاء الاكبر فامتنع، وولي تدريس الفقه وقرأ عليه كثيرون، كان متقشفا يتكسب بالتجارة، وله كتب جيدة التحرير سليمة التعبير، في الاصول والفقه، وكتب في النحو لم تكمل مثل شرح القواعد لابن هشام وشرح التسهيل لابن مالك، وكتب في المنطق، وأجل كتبه التي لم تكمل تفسير القرآن من أول الكهف الى آخر القرآن (ينظر ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣٠٣/٧ - ٣٠٤).

ترجمة المحلي: «وأجل كتبه التي لم تكمل تفسير القرآن...وهو ممزوج محرر غاية في الحسن».(٣)وقال الصاوي في مقدمة حاشيته على الجلالين: «وكان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير. وأجمع على الاعتناء به الجم الغفير من أهل البصائر والتنوير».(٤)وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه: «مناهل العرفان في علوم القرآن»: «أما تفسير الجلالين فكتاب قيم سهل المأخذ الى حد ما، مختصر العبارة كثيراً...تداوله طبقات مختلفة من أهل العلم وغيرهم..».(٥)

وربما اعتقد من لا اطلاع له بأهمية هذا التفسير وماهيته، انه بالنظر لايجازه، مناسب للمبتدئين من الدارسين ولمتوسطي الثقافة من الناس فحسب، ولكن الحقيقة غير هذا، اذ ان هذا التفسير كان يختار لأعلى الدراسات فكأنه لاختصاره معد للمنتهين لا للمبتدئين، لان هذا الاختصار تكمن وراءه حقائق كثيرة في علوم القرآن، والتفسير وأصوله، والفقه واللغة والنحو والبلاغة والعقائد وغيرها. والى هذا أشار الشيخ الزرقاني العالم الازهري الجليل في اثناء كلامه عليه فقال: «والعجيب ان كثيراً من فطاحل العلماء كانوا يختارونه لأعلى دراسة عرفت في التفسير كمادة اساسية يدورون حولها ويستلهمون وحيها..»(٦)..وقال الشيخ محمد حسين الذهبي: «ومع هذا الاختصار فالكتاب قيم في بابه، وهو من أعظم التفاسير انتشاراً واكثرها تداولا ونفعاً»(٧)وازداد تفسير الجلالين أهمية بعد ان قام بالتعليق عليه الشيخ سليمان الجمل العجيلي المتوفى سنة١٢٨٢هـ، ثم تبعه تلميذه المحقق الشيخ احمد الصاوي، الذي استفاد من تعليقات شيخه الجمل وزاد عليه فوائد كثيرة استقاها من عيون التفاسير كتفسير الزمخشري والقرطبي والبيضاوي وأبي السعود.(٨)

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب ٣٠٤/٧.
(٤) الصاوى: حاشية الصاوى على الجلالين: ٢/١.
(٥) ٥٣٤/١-٥٣٥.
(٦) نفسه: ٥٣٥/١.
(٧) الذهبي: التفسير والمفسرون ٣٣٧/١
(٨) خاتمة تفسير الجلا لين بقلم حسن طلبة زيدان ص ٥٢٤.

وتشعرنا الحواشي والشروح التي كتبت على الجلالين بأهميته، وهي كثيرة اشهرها حاشيتا الجمل والصاوي اللتان ذكرناهما آنفاً، وهما متداولتان بين أهل العلم، (٩) وهناك حواش اخرى ذكرتها المراجع الا انها لم تصل الينا، منها حاشية شمس الدين محمد العلقمي سماها: قبس النيرين، انتهى من تأليفها سنة ٩٥٢هـ، وحاشية الجمالين لنور الدين علي بن سلطان محمد القاري نزيل مكة المكرمة المتوفى بها سنة ١٠١٠هـ. (١٠) وذكر صاحب ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ان لبدر الدين محمد بن محمد البكري الكرخي الشافعي نزيل مصر المتوفى سنة ١٠٠٧هـ حاشية على الجلالين، (١١) ويبدو انها هي الحاشية الصغرى التي أشار اليها صاحب كشف الظنون حين قال «وله حاشية صغرى»، الا انه لقبه جلال الدين بدلا من بدر الدين مبينا ان له شرحا كبيرا على الجلالين في مجلدات سماه: مجمع البحرين ومطلع البدرين» (١٢)، واسم هذا الشرح — ان صح انه وارد بهذه العبارة — مأخوذ من تفسير السيوطي المفقود «مجمع البحرين ومطلع البدرين» الذي أشار اليه السيوطي نفسه في آخر كتابه الاتقان في علوم القرآن. (١٣) ومن حواشي الجلالين حاشية لمحمد أبي السعود صالح السباعي الحفناوي المصري المتوفى سنة ١٢٦٨هـ (١٤).

وقد اقتسم هذان المفسران الجليلان السيوطي والمحلي، شطرى هذا التفسير وتعاقبا في تحريره واتمامه، فبدأ العلامة المحلي به من سورة الكهف الى سورة الناس وهي آخر القرآن الكريم، وفسر سورة الفاتحة بعد ذلك، ثم أتمه السيوطي «سنة ٨٧٠هـ» (١٥) حاذيا حذو شيخه المحلي بعد وفاته بست سنوات مبتدئا بسورة البقرة ومنتهيا بسورة الاسراء، سالكا مسلكه وناهجا نهجه.

(٩) الذهبي: التفسير والمفسرون ١/٣٣٧.
(١٠) خليفة — حاجي: كشف الظنون ١/٤٤٥ وانظر الذهبي ١/٣٣٨.
(١١) باشا — اسماعيل: ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١/٣٠٤.
(١٢) خليفة — كشف الظنون ١/٤٤٥.
(١٣) ٢/١٩٠.
(١٤) باشا — اسماعيل: ايضاح المكنون ١/٣٠٤.
(١٥) دائرة المعارف الأسلامية: الترجمة العربية ١٣/٢٨.

وحين بين في خاتمة تفسيره لسورة الاسراء(١٦)، أنه فسره «في مدة قدر ميعاد الكليم» أشعرنا بأنه أتم هذا القدر من التفسير في أربعين يوما، وهي مدة قصيرة حقا تدل على قدرة السيوطي على التأليف السريع في سن مبكرة..اذ لم يتجاوز عمره اذ ذاك الثانية والعشرين.

وقد وهم صاحب كشف الظنون فظن ان المحلي هو الذي فسر القرآن من البقرة الى الاسراء، وأن السيوطي قد أتمه بعد ذلك(١٧)، وتابعه في هذا الوهم عدد ممن تلاه من المؤلفين مثل الشيخ قاسم القيسي في كتابه: تاريخ التفسير (١٨) والاستاذ أحمد عطية الله في معجمه الاسلامي.(١٩)على حين بين السيوطي نفسه في مقدمة الجلالين ،قبل أن يفسر سورة البقرة أنه قام باتمام مافات المحلي وهو من أول سورة البقرة الى سورة الاسراء، فدل على انه فسر هذا القسم من القرآن .ويقوي ذلك ماذكره أيضا في آخر تفسيره لسورة الاسراء(٢٠). فقال: «هذا آخر ماكملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الامام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه المتوفى (سنة)(٢١)٨٦٤...» وبين الشيخ سليمان الجمل في مقدمة حاشيته على الجلالين أن الفاتحة مما فسره المحلي وأنه توفي بعد اتمامه لها(٢٢)، الا ان صاحب كشف الظنون ذكر بأن أياً من الجلالين لم يفسر البسملة ففسرها بعض العلماء من زبيد وكتب ذلك حاشية بالهامش(٢٣) ومن العجيب ماوقعت فيه دائرة المعارف الاسلامية من

---

(١٦) ص ٢٤٣.
(١٧) خليفة–كشف الظنون ١/٤٤٥.وانظر الذهبي ١/٣٣٤–٣٣٥.
(١٨) ص ٧٨.
(١٩) ١/٤٨٣.
(٢٠) ص ٢٤٣.
(٢١) مابين القوسين زيادة من عندنا يقتضيها التعبير.
(٢٢) خليفة–حاجي: كشف الظنون ١/٤٤٥. وانظر الذهبي ١/٣٣٥.
(٢٣) خليفة: كشف الظنون ١/٤٤٥.

خلط بين هذا التفسير وبين كتاب «لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي (*) ، اذ يشعر كلامها بأنهما شيء واحد على حين هما كتابان مستقل كل منهما عن الآخر.

وقد التأم التفسيران بعد ذلك حتى صارا تفسيراً واحداً عرف بـ «تفسير الجلالين»، وتناظرا حتى لم يعد من اليسير على أحد من الدارسين تبين أنهما لمفسرين اثنين مالم يحط بذلك علما من مصدر خارج عن التفسير ، اللهم الا المقدمة والخاتمة اللتين كتبهما السيوطي للقسم الذي فسره فانهما ابانتا عن ذلك.

ولقد حذا حذو الجلالين وخطا خطاهما بعد ذلك كثيرون، فكانا بحق رائدين من رواد التفسير الموجز الذي تنبغي العناية به، كما تنبغي للمطولات منه، وصرنا نجد اليوم تفاسير على نهجهما كتفسير العلامة السيد عبد الله شبر (٢٤) وتفسير العلامة محمد فريد وجدي وغيرهما من التفاسير الموجزة النافعة. ونحن اذ نتأمل في تفسير الجلالين تأملا لانكاد نفرق من حيث المنهج بين مافسره السيوطي وما فسره المحلي. لانهما كما بينا آنفاً ينهجان نهجا واحدا لا تباين فيه يبدو، بعد أن تابع السيوطي شيخه المحلي متابعة تامة تقريبا ، وقد اعترف له بالاجادة، وأن ما وضعه الشيخ من هذا التفسير خير مما وضعه هو، كيف لا وقد أخذه عنه واقتبسه منه. كما اعترف بأنه لم يخالفه الا في مواضع يسيرة ماكان يظن انها تتجاوز العشرة (٢٥).

مصادر الجلالين

اعتمد الجلالان على مصادر متنوعة في تأليف تفسيرهما، وهو أمر متعارف عليه لدى المفسرين، اذ يستفيد المتأخر من صاحبه المتقدم، ثم يضيف اليه ماهداه اليه علمه، ودله عليه فكره. ولهذا فان الجلالين استقيا مادتهما التفسيرية من عيون التفاسير التي سبقتهما، فجاء تفسيرهما خلاصة مركزة لها، وصفوة مختارة منها،

(*) ١٣/٢٨.

(٢٤) طبع هذا التفسير القيم في القاهرة بعناية السيد مرتضى الكشميري. وقدم له الدكتور حامد حفني داود استاذ الادب بكلية الالسن بمقدمة وافية.

(٢٥) ينظر ماكتبه السيوطي في خاتمة تفسير سورة الاسراء ص ٢٤٤.

قال صاحب كشف الظنون وهو يتكلم على هذا التفسير: «وهو مع كونه صغير الحجم، كبير المعنى، لانه لب لباب التفاسير».(٢٦)ولا يبعد ان يكون تفسير الكشاف من تلك التفاسير التي اعتمد عليها الجلالان وأخذا عنها، وآية ذلك مانجده من تشابه واضح في مثل تفسير قوله تعالى: «وانظر الى العظام كيف ننشزها»(٢٧)فالزمخشري يقول: «كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا، وقرىء بالزاي، بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض..»(٢٨). والسيوطي يقول: «نحييها بضم النون. وقرىء بفتحها من أنشر ونشر، لغتان. وفي قراءة بضمها والزاي: نحركها ونرفعها»(٢٩)، وهو كما ترى قريب مما ذكره الزمخشري. فاذا علمنا ان كبار المفسرين الذي سبقوا الجلالين كالطبرسي والرازي والبيضاوي وأبي حيان وغيرهم قد تأثروا بالزمخشري وأخذوا عنه، لم نر مايدعو الى استبعاد أخذ الجلالين عنه.

على ان السيوطي وان خالف شيخه في مواضع كما بينا ذلك من قبل، الا انه يتخذ من القسم الذي فسره مصدراً له، فيختار الوجه الذي اختاره. مصرحاً بذلك. ففي تفسير قوله تعالى: «الحمد لله الذي خلق السموات والارض»(٣٠)، نراه يقول: «لله: وهل المراد بذلك الايمان به، والثناء به (٣١)، أو هما؟ احتمالات. أفيدها الثالث، قاله الشيخ في سورة الكهف»(٣٢).

والمصادر الهامة التي يشير اليها الجلالان في تفسيرهما، كتب الحديث. وذلك حين يفسران الايات بالسنة النبوية. وأكثر هذه الكتب دورانا في تفسيرهما الكتب الستة كالبخاري ومسلم والترمذي وأبي داود، فضلا على الكتب الاخرى

(٢٦) خليفة–كشف الظنون ١/٤٤٥.
(٢٧) البقرة: ٢٥٩.
(٢٨) الزمخشري: الكشاف ١/٢٩٥.
(٢٩) السيوطي: تفسير الجلالين ص٣٧.
(٣٠) الانعام: ١.
(٣١) كذا وردت في الاصل، والصحيح الثناء عليه.
(٣٢) السيوطي: تفسير الجلالين ص١٠٥..

المشهورة كمستدرك الحاكم النيسابوري. فكثيراً ماتتكرر في تفسير الجلالين أمثال هذه العبارات: «رواه مسلم والبخاري»(٣٣)«رواه الحاكم وقال صحيح»(٣٤) «رواه الترمذي وقال حسن غريب»(٣٥)..«وفي حديث ابي داؤد الطيالسي» (٣٦)...الخ

أما المصادر الاخرى، كمصادر اللغة والنحو والبلاغة والفقه والعقائد... وأمثالها، فلا نجد لها ذكرا في تفسير الجلالين، ويعود ذلك الى مبدأ الايجاز الذي التزم به هذا التفسير، فحال دون تفصيل وبيان بقية المصادر.

مادة التفسير:

تلونت مادة التفسير في الجلالين كما هي الحال في غالب التفاسير القرآنية. فاذا هي صنوف متعددة منها أثره في جودة التفسير واعطائه نصيبه من القبول لدى الدارسين..ولكن النقص الذي يلحظ في هذا المجال هو أن الجلالين قد يختاران وجها من عدة وجوه يحتملها اللفظ أو السياق، أو يبينان رأيا من جملة آراء واردة مأثورة في مسألة من مسائل علوم القرآن أو موضوع من موضوعاته، وغير ذلك مما ذكر في التفاسير التي سبقتهما. وبذلك قد تخفى تلك الوجوه الاخرى على المراجع لهذا التفسير الوجيز، فيحسب ان ماذكراه هو الوجه الوحيد الوارد أو المحتمل. وسيتبين طرف من ذلك عند تفصيل الكلام على مادة التفسير، التي تضم مناهج متباينة كل منها يتم الآخر، ويعمل على تعزيزه وتقويته، فهناك منهج التفسير بالمأثور، ومنهج الفقه وأصوله، والمنهج اللغوي والنحوي والبلاغي. ولا بد من تبيانها منهجا منهجا.

التفسير بالمأثور

يبدو الجلالان مفسرين أثريين يعنيان بالأثر عناية واضحة وذلك يتجلى في مايأتي:—

(٣٣) انظر مثلا تفسير الآية ٢٣ من سورة النساء ص ٦٨فوق.
(٣٤) أنظر مثلا الآية١٩٠ من سورة الاعراف ص١٤٣.
(٣٥) أنظر تفسير الآية نفسها. المكان نفسه.
(٣٦) ينظر تفسير الآية ٥٥من سورة آل عمران ص ٤٨..

١. **تفسير القرآن بالقرآن تفسيراً ظاهرياً**، سالكين في ذلك مسلك العلماء الذين وصفوا هذا الاسلوب من التفسير بأنه «أحسن طرق التفسير» كما ذكر ذلك الزركشي في برهانه (*)

فهذا هو المنهج الافضل في تفسير كتاب الله، اذ ان تفسير القرآن بالقرآن خير طريقة ينتهجها المفسر في الكشف عن معاني الكتاب الكريم، لان الآية —بحسبه— تكون شاهداً للآية، والشاهد اذا كان كلام الله، فهو نعم الشاهد، ودونه كل الشواهد(٣٧) ولقد أدرك الامامان الجلالان ذلك، ووعياه حق الوعي، فأولياه في تفسيرهما مايستحق من أهتمام.

ففي تفسير قوله تعالى: «يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا(٣٨).

يذكر السيوطي بأن المراد من قوله «تسوى بهم الارض»: «بأن يكونوا ترابا مثلها..» ثم يذكر الاية التي تبين معنى التسوية بالارض وتفسره فيقول: «كما في آية أخرى: «ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً»(٣٩)، ففسر القرآن بالقرآن. وقد سبقه الى هذا شيخه جلال الدين المحلي في تفسير قوله تعالى: «سيذكر من يخشى»(٤٠). اذ قال: «سيذكر»: بها «من يخشى»: يخاف الله، فبين ان المراد بالخشية الواردة في الآية الكيمة، خشية الله، ثم ذكر بعد ذلك مايفسرها ويحدد مفهومها من الكتاب العزيز، بقوله: «كآية: فذكر القرآن من يخاف وعيد» (٤١). ففسر القرآن بالقرآن أيضاً.

(*) ٢/١٧٥ بتحقيق أبي الفضل ابراهيم.

(٣٧) يراجع مقالنا: «التفسير في نهج البلاغة» في مجلة «رسالة الاسلام» لكلية أصول الدين ببغداد، العددان: الثالث والرابع ١٩٧١.

(٣٨) النساء: ٤٢.

(٣٩) تفسير الجلالين ص٧٠.

(٤٠) الاعلى: ١٠

(٤١) تفسير الجلالين ص ٥٠٨.

٢. تبيين اسباب النزول: ويستعين الجلالان في منهج المأثور على تجلية النص وتفسيره بأسباب النزول، آخذين بنظر الاعتبار اهميتها في توضيح المعنى وكشف المراد من الآى. ففي قوله تعالى: «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين». (٤٢)

يقول السيوطي مبيناً سبب نزول الاية: «لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان هي لنا لأنا أشرنا بالقتال. وقال الشيوخ كنا ردءاً تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم الينا، فلا تستأثروا بها، نزل: بسم الله الرحمن الرحيم (يسألونك): يامحمد (عن الانفال): الغنائم (٤٣).... «ويقول:» ولما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي نزل «ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره» (٤٤) وقد يشيران الى مكان نزول الآية، كقول المحلي بأن سورة القصص مكية الا «الذين آتيناهم الكتاب» والا «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد» فمدنية نزلت بالجحفة (٤٥) والجلالان يتبنيان القاعدة التفسيرية الهامة المتعلقة بأسباب النزول التي تقول: «ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» وهو رأي الجمهور. وقد تبناه السيوطي في تفسير الجلالين ثم في كتابه: «الاتقان في علوم القرآن» (٤٦) من بعد، ورجحه على سواه.

ومفاد هذا الرأى ان الآية التي تنزل في سبب من الاسباب لاتنحصر في الأفراد الذين نزلت فيهم فحسب، بل تتعداهم الى كل من ينطبق عليهم مفهومها، ففي تفسير قوله تعالى: «ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها..» (٤٧)، يذكر أن «الآية وان وردت على سبب خاص، فعمومها معتبر بقرينة

---

(٤٢) الانفال: ١.

(٤٣) تفسير الجلالين ص ١٤٥.

(٤٤) نفسه ص ١٦٣.

(٤٥) ينظر صدر تفسير سورة القصص ص ٣٢٣، قبل تفسير البسملة. والجحفة: ميقات أهل الشام في الدخول الى مكة. (القاموس المحيط مادة ج ح ف).

(٤٦) ١/٢٩.

(٤٧) النساء: ٥٨.

الجمع»(٤٨). وكان المحلي قد تبنى ذلك عمليا في القسم الذي فسره، ففي تفسير قوله تعالى: «وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى»(٤٩) يذكر ان الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما اشترى بلالا الحبشي المعذب على ايمانه وأعتقه. فلما فسر الآية التي وردت بعد ذلك في سياقها وهي قوله تعالى: «ولسوف يرضى»، قال: «بما يعطاه من الثواب في الجنة» ثم قال: «والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله عنه، فيبعد عن النار». (٥٠) فبين أن مفهوم الآية لا يقف عند من نزلت فيه فحسب، بل يتعداه الى كل من ينطبق عليه مفهومها ويناله لفظها وتعبيرها من المؤمنين..

ونظرا لما لأسباب النزول من أهمية في الكشف عن معاني القرآن، فقد ألف السيوطي بعد ذلك كتابه المشهور: «لباب النقول في أسباب النزول» اعتمد فيه على المأثور من الروايات في أسباب النزول اعتمادا كلياً. وقد طبع الكتاب مستقلا، كما طبع بهامش الجلالين اتماما للفائدة.

ومن هنا ظهر شيء من التباين بين ماكتبه السيوطي في تفسيره، وبين ماكتبه بعد ذلك في «نقوله»، ففي تفسير قوله تعالى: «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» لم يزد على ان قال في تفسير هذه الآية: «راكعون»: خاشعون، أو يصلون صلاة التطوع»(٥١)، دون ان يشير الى سبب نزولها وفيمن نزلت. وهو خلاف عادته في مثل هذه الحال، اذ هو يشير الى سبب النزول. غير انه حين ألف كتابه (لباب النقول) بعد ذلك، بين أنها نزلت في الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مستندا الى ما أخرجه (الطبراني) عن عمار بن ياسر وابن مردويه عن علي وابن عباس، وابن جرير على سلمة بن كهيل. ثم قال بعد أن ذكر هذه الروايات والاقوال

---

(٤٨) تفسير الجلالين: ص ٧٢.

(٤٩) الليل: ١٧-١٨.

(٥٠) تفسير الجلالين: ص ٥١٣.

(٥١) ينظر تفسيره للآية ٥٥ من سورة المائدة ص ٩٦

المأثورة في سبب نزول الآية: «فهذه الشواهد يقوي بعضها بعضاً»(٥٢)مؤيداً القول بنزولها في الامام.

وهذا في الواقع يمثل جزءاً من تطور السيوطي العلمي في مجال التفسير.اذ نجد أن دراساته في التفسير وعلوم القرآن بعد ذلك قد أضفت على علمه في هذا المجال سعة وتطوراً واضحين،وقد تجلى ذلك بوضوح في تفسيره المشهور: «الدر المنثور».فاذا علمنا أنه ألف القسم الذي ألفه من تفسير الجلالين ولما يجاوز الثانية والعشرين،تجلى لنا هذا التطور أكثر فأكثر.

٣.العناية بالناسخ والمنسوخ

ومن معالم التفسير بالمأثور لدى (الجلالين) العناية بالناسخ والمنسوخ وهو أمر له أهميته وبخاصة في تبيان تطور الاحكام الشرعية خلال الفترة التي نزل فيها الوحي وسمع فيها المسلمون القرآن يتلى عليهم.

ومن هنا نجد (الجلالين) يشيران في تفسيرهما الى نوعين من أنواع النسخ هما:

أ. نسخ القرآن بالقرآن.

ب. نسخ القرآن بالسنة.

ولم يرد عنهما اشارة الى النوعين الآخرين أعني: نسخ السنة بالقرآن ونسخ السنة بالسنة.اللذين قال بهما فريق من العلماء على ماذكر الزركشي في برهانه.(٥٣) فمن مثل الاول ماذكره السيوطي بعد تفسير قوله تعالى: «ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله على كل شيء شهيد» (٥٤)، اذ قال: «وهذا منسوخ بقوله: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض».(٥٥)

---

(٥٢) السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول ص ٩٠-٩١.

(٥٣) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٢/٣١-٣٢.

(٥٤) النساء: ٣٣.

(٥٥) تفسير الجلالين: ص ٦٩.

ومن أمثلة الثاني ماورد في تفسير قوله تعالى: «كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين»(٥٦). اذ قال: «للوالدين والاقربين بالمعروف: بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغني ....وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث «لا وصية لوارث» رواه الترمذي»(٥٧) فبين أن الحكم الشرعي الاول منسوخ بالآية وان الثاني منسوخ بالآية والسنة معاً، وهو في هذا على رأى الامام الشافعي الذي يرى أنه «حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضدها»، وقد صرح بهذا الرأي في كتابه الاتقان(٥٨).

واذا كان الايجاز قد حمل الجلالين على عدم بيان مصدر الرواية الدالة على النسخ، فإن ذلك لم يكن مطردا في تفسيرهما، اذ لا يعدمان في مواضع متفرقة منه بيان هذا المصدر، كالذي نجده في تفسير قوله تعالى: «ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدله عذاباً عظيماً».(٥٩)فبعد أن يبين السيوطي أن العذاب الوارد في الآية مؤول بمن يستحل القتل، أو بمن يجازى إن كتب عليه الجزاء، نراه يذكر الرواية الواردة عن ابن عباس الدالة على ان الاية ناسخة لغيرها من آيات المغفرة، فيقول: «وعن ابن عباس انها على ظاهرها وانها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة»(٦٠).

وقد يشير الجلالان الى الآراء الواردة في نسخ الآية دون عزوها الى قائلها من الصحابة او التابعين، ودون نقدها وبيان الرأي فيها مكتفيين بلفظة «قيل»، كالذي نجده في تفسير الآية الثامنة من سورة النساء، اذ يقول السيوطي: «وهذا قيل إنه منسوخ، وقيل لا، ولكن تهاون الناس في تركه..»(٦١). وعناية الجلالين بالناسخ

---

(٥٦) البقرة: ١٨٠.
(٥٧) تفسير الجلالين: ص ٢٥.
(٥٨) ١٢١/٢.
(٥٩) النساء: ٩٣.
(٦٠) تفسير الجلالين: ص ٧٧.
(٦١) نفسه: ص ٦٥.

والمنسوخ لا يعني الالتزام باستمرار بما تنص عليه الروايات من وجوه وأحكام، اذ قد يكتفيان بايرادها وبيان الحكم الوارد فيها دون الالتزام بمضمونها، كالذي نجده في تفسير آية القتل العمد التي مرت علينا آنفاً. اذ لم يتبن السيوطي رأي ابن عباس الذي أورده فيها، فالسيوطي يرى أنها مؤولة، وابن عباس يرى انها على ظاهرها.

٤. التفسير القصصي

ولا يعدم تفسير الجلالين، على ايجازه، في جانبه النقلي، أثراً من آثار «التفسير القصصي» المعروف في التفاسير المطولة عادة. وهو ان يذكر المفسر عند تفسير الآى حوادث وقصصاً تتصل بشخصية واردة في الآية أو حادثة واقعة فيها أو ماأشبه ذلك، معتمداً على المأثور من الروايات. وقد توخى المفسران الجليلان الايجاز عند تبيان ذلك مع كفاية الايضاح.

فمن مثله ماورد في تفسير قوله تعالى: «وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله، ونجني من القوم الظالمين». (٦٢) فقد ذكر المحلي قصة آسية امرأة فرعون وايمانها وما أصابها من أذى بعد انكشاف أمرها لفرعون وما كان من عناية الله بها بتظليل الملائكة لها عند تعذيب فرعون اياها وتجلي القصر الذي بني في الجنة لها، ورفعها الي السماء بعد موتها.. (٦٣)

٥. تفسير القرآن بالسنة

والسنة النبوية مصدر من مصادر التفسير عند الجلالين، كما هي عند غيرهما من المفسرين. فالسنة شارحة للكتاب ومبينة له وكاشفة عن معانيه ومفصلة لمجمله. وقد أجمع المفسرون وأهل العلم على اعتمادها مصدراً وثيقاً من مصادر تفسير القرآن الكريم، مادامت قد صحت عنه عليه الصلاة والسلام.

---

(٦٢) التحريم : ١١.

(٦٣) تفسير الجلالين ص٤٧٧.

وهما لايلتزمان بايراد«عنعنات»الرواية بل يكتفيان بايراد الرواية مسبوقة بلفظة «كحديث»أو«لقوله ص»أو نحو ذلك.وقد يوردان«عنعنات»الرواية احياناً باختصار كقول السيوطي: «وروى الامام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله (ص)...».(٦٤)وقد لا يوردان نص الحديث الشريف بل يكتفيان بالقول«كما في الحديث»، التزاما منهما بالايجاز الذي سلكاه، ويحتمل أن يكون ذلك لشهرة الحديث، ودورانه بين أهل العلم أيضا.

يقول السيوطي في تفسير قوله تعالى: «ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء...»(٦٥)«لا تفتح لهم أبواب السماء»: ، اذا عرج بأرواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن، فتفتح له ويصعد بروحه الى السماء السابعة، كما ورد في حديث»(٦٦)، والحديث الذي أشار اليه السيوطي طويل منه قوله (ص): «ثم يصعد بروحه الى السماء فتفتح له ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية والثالثة والرابعة....»(٦٧).

ويقول السيوطي أيضا: «والعبد بالعبد والانثى بالانثى»، وبينت السنة ان الذكر يقتل بها وانه تعتبر المماثلة في الدين، فلا يقتل مسلم ولو عبداً، بكافر ولو حراً».(٦٨)فذكر ما يتعلق بالحكم الشرعي من أمور بينتها السنة وأجملتها الآية.

ومن أمثلته أيضا ماورد في تفسير قوله تعالى: «وقوموا لله قانتين»(٦٩)، فقد فسر القنوت بالطاعة، معتمدا على ماورد عن رسول الله (ص)، في ذلك قائلا:

---

(٦٤) نفسه ص ٢٤٣.
(٦٥) الاعراف : ٤٠
(٦٦) تفسير الجلالين ص ١٢٧.
(٦٧) ينظر الحديث بتمامة في: ابن القيم: الروح: ص ٤٦-٤٧.
(٦٨) تفسير الآية ١٧٨ من البقرة ص ٢٤.
(٦٩) البقرة: ٢٣٨.

«قانتين: قيل مطيعين لقوله صلى الله عليه وسلم كل قنوت في القرآن فهو طاعة» (٧٠).

منهج الفقه وأصوله

ولا يعدم تفسير الجلالين بيان المسائل الفقهية والقضايا التشريعية، كلما كان لبيانها حاجة، وللكلام عليها مناسبة، وله في هذا المنهج الهام سبل يسلكها أظهرها:

١. أنه يبين الوجه الفقهي الذي تدل عليه آيات الاحكام، كما في تفسير قوله تعالى: «.. وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» اذ قال: «...طعام مسكين: أي قدر مايأكله في يومه وهو مد في غالب قوت البلد لكل يوم» (٧١).

٢. وبروح أصولية يبين نوع هذه الاحكام الشرعية من حيث الوجوب أو الندب أو غيرهما، كما في تفسير قوله تعالى: «وأشهدوا اذا تبايعتم» (٧٢)، اذ قال السيوطي: «واشهدوا اذا تبايعتم: عليه فانه ادفع للاختلاف. وهذا وما قبله أمر ندب» (٧٣). يريد ان الامر المفهوم من (اشهدوا) وما وما قبله من أوامر واردة في هذا المقام، لا تفيد الوجوب بل الاستحباب.

٣. ويشير الى السنة النبوية الشريفة حيثما وردت مبينة للقرآن، أو مفصلة لمجمله، كما في تفسير قوله تعالى: «وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة». (٧٤). اذ قال: «وبينت السنة جواز الرهن في الحضور ووجود الكاتب. فالتقييد بما ذكر لان التوثيق فيه أشد. وأفاد قوله: مقبوضة،

---

(٧٠) تفسير الجلالين ص ٣٤.

(٧١) تفسير الآية ١٨٤ من البقرة ص ٢٥.

(٧٢ البقرة: ٢٨٢.

(٧٣) تفسير الجلالين: ص ٤١. والندب مادعا الشارع الى فعل متعلقه ولم يلزم به (الحكيم: أصول الفقه المقارن ص ٦٢-٦٣).

(٧٤) نفسها: ٢٨٣.

اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله»(٧٥)، فبين مافي السنة من تفصيل لمجمل الكتاب، الى جانب استنباط حكم شرعي، دلت عليه لفظة «مقبوضة» في الآية الكريمة. وكثيراً ماترد الآراء الفقهية المأثورة عن كبار الصحابة، عند تفسير آيات الاحكام خاصة. كالذي نجده في تفسير قوله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة»(٧٦)، فنرى السيوطي يقول: «وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة ببدنة وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره، ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة»(٧٧).

٤. وتبدو الآراء الفقهية لعدد من المدارس الاسلامية واضحة في تفسير الجلالين وبخاصة مدرسة الامام الشافعي وفقهه، فقد ظهرت آراؤها الفقهية وفتاواها بجلاء، ويعود ذلك الى ان كلا الامامين الجلالين شافعي المذهب فمن هنا كان اهتمامهما ببيان فقه الامام الشافعي واردا أكثر من غيره. ففي تفسير قوله تعالى «ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله»(٧٨) يقول السيوطي: «..محله»: حيث يحل ذبحه وهو مكان الاحصار(٧٩) عند الشافعي...».

ويقول في تفسير قوله تعالى: «لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام»(٨٠) «بأن لم يكونوا على مرحلتين من الحرم عند الشافعي.. فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعليه ذلك. وهو أحد وجهين عند الشافعي...»(٨١).

---

(٧٥) تفسير الجلالين ص ٤١.

(٧٦) المائدة: ٩٥.

(٧٧) تفسير الجلالين ص ١٠١.

(٧٨) البقرة: ١٩٦.

(٧٩) الاحصار: المنع عن اتمام مناسك الحج والعمرة لسبب من الاسباب كالعدو والمرض (انظر: الراغب الاصفهاني: مفردات القرآن مادة: حصر) ص١١٩-١٢٠.

(٨٠) البقرة: ١٩٦.

(٨١) تفسير الجلالين ص ٢٧.

وهكذا نرى انه لا يكاد وجه فقهي أو حكم شرعي يخلو من بيان رأي الامام الشافعي رحمه الله فيه. وهذا أجلى فيما فسره السيوطي خاصة. فيمكن القول ان تفسير الجلالين يعد مصدرا للفقه الشافعي.

٥- ومن عناصر المنهج الفقهي في تفسير الجلالين، بيان «علل الاحكام الشرعية كعلل العبادات، وعلل الحدود ونحوهما. فمن مثل ماورد في علل العبادات قول السيوطي في علة الصلاة: «وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم من الايمان الشره وحب الرياسة، فأمروا بالصبر وهو الصوم، لانه يكسر الشهوة، والصلاة لانها تورث الخشوع وتنفي الكبر» (٨٢)، وذلك حين فسر قوله تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين» (٨٣).

ومثله ماورد في علة الاقتصاص من القاتل، بأن قال: «لان القاتل اذا علم انه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله..» (٨٤). وذلك حين فسر قوله تعالى: « ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب لعلكم تتقون » (٨٥).

ومن هذه العلل علة قلة أيام الصوم ووصفها بكونها «أياماً معدودات» في التنزيل، اذ قال: «أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان.... وقلله تسهيلا على المكلفين» (٨٦). والسيوطي يشير الى مايسميه «محل العلة» عندما يفسر قوله تعالى: «أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى» (٨٧)، فيقول: «وجملة الاذكار محل العلة، أي لتذكر ان ضلت» (٨٨). وبعبارة أخرى ان العلة منصوص عليها في هذه المسألة، اذ بينت الاية الكريمة في جزء من اجزائها وهو الذي سماه السيوطي «محل العلة» او جملة الاذكار على حد قوله، الحكمة من اعتبار شهادة

---

(٨٢) تفسير الجلالين ص ٨.
(٨٣) البقرة: ٤٥.
(٨٤) تفسير الجلالين ص ٢٥.
(٨٦) تفسير الجلالين: ص ٢٥.
(٨٥) البقرة: ١٧٩.
(٨٧) البقرة: ٢٨٢.
(٨٨) تفسير الجلالين ص ٤١.

امرأتين من النساء بشهادة واحدة ،وهي ان تذكر احداهما الاخرى اذا ضلت صاحبتها في شهادتها،ولم تؤدها على وجهها الصحيح المطلوب.

ويبدو للدارس ان المنهج الفقهي فيما فسره السيوطي من الجلالين،أكثر اتساعاً وعمقاً مما هو فيما فسره استاذه وشيخه المحلي.وقد يتبادر ان ذلك يعود الى وفرة آيات الاحكام في القسم الذي فسره السيوطي من القرآن،الاانا لانلبث ان نجد ان تلك الايات ليست بالقليلة فيما فسره المحلي أيضاً.فلا مناص عندئذ من عزو ذلك الى اهتمام السيوطي بهذا الجانب أكثر من شيخه المحلي،وعنايته الخاصة به.

المنهج اللغوي

ومنهج الجلالين اللغوي يشمل أموراً عديدة يلحظها الدارس له،وذلك:

١.انهما يفسران الالفاظ القرآنية تفسيراً لغوياً موجزاً مبنياً على مفهومها في الاصطلاح اللغوي وما تواضع عليه العرب في تعبيراتهم وأساليبهم،وما عرفه في معاني منطقهم.فيقول السيوطي في تفسير سورة الانفال(٨٩)مثلا:

«الا متحرفا»:متعطفا.

«ليثبتوك»: يوثقوك ويحبسوك.

وقد سبقه المحلي الى هذا التفسير اللغوي الموجز،فقال في تفسير سورة «المؤمنين» (٩٠) مثلا:

«في غمرة»: جهالة.

«لا نكلف نفسا الا وسعها» أي طاقتها.

«يجأرون» : يضجون.

---

(٨٩) ينظر تفسير الآيتين: ١٦و٣٠ منها.

(٩٠) ينظر تفسير الآيات: ٦٢-٦٤ منها.

فهما هنا يفسران «غريب الالفاظ» القرآنية.ويكشفان عن المراد منها، بوضع الالفاظ المؤدية لمعانيها في اللغة ازاءها.

ولعل هذا الذي حدا بأكثر الدارسين أن يلجأوا الى تفسيرهما في أوقات كثيرة،اذ هو يسعفهم في تفهم معاني الالفاظ القرآنية ويدلهم على المراد من آيات الكتاب المبين دون عناء كبير.وبخاصة ان الكثيرين منهم،قد لا يجدون وقتا أو يملكون جلدا على مراجعة المطولات من التفاسير.

٢. وهما قد يشيران الى مفهوم اللفظة في أصل الاستعمال اللغوي ومفهومها في استعمال القرآن ، وما قد يقع بين هذين الاستعمالين من تغاير معنوي ، كما في «لعل» الواردة في قوله تعالى:«ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون»(٩١).

اذ يقول السيوطي:«ولعل في الاصل للترجي،وفي كلامه تعالى للتحقيق»(٩٢) غير انه لم يسند الى «عسى» المعنى نفسه،حين فسرها في مثل قوله تعالى :«عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا...»(٩٣).

اذ هي على ماهو ظاهر مثل «لعل» في أفادة معنى التحقيق حين ترد في كلامه تعالى،وليست على سبيل الرجاء.

٣.وعد الجلالان الحروف المقطعة في أوائل السورة المسماة بفواتح السور،مثل (ق) و(الم)و(المر)...رموزا لا يعلمها الا الله تعالى،حيثما وردت في التنزيل. ولذلك نجدهما يقولان بعد كل حرف من هذه الحروف: «الله أعلم بمراده به»(*).او «الله أعلم بمراده بذلك.»(**):وذلك مطرد في تفسيرهما كله لم يند عنه شيء وهما في هذا على طريقة فريق من السلف وقفوا من هذه الحروف

---

(٩١) البقرة: ٢١.

(٩٢) تفسير الجلالين : ص ٥.

(٩٣. النساء: ٨٤.

(*) انظر مثلا (ن) في سورة القلم ص ٤٨٠. و (حم) في سورة فصلت ص ٤٠٠.

(**) انظر مثلا (الم) البقرة ص ٣.و (طسم) في سورة القصص ص ٣٢٣.

موقفا محتاطا متورعا، فلم يخوضوا في مدلولاتها والمراد منها، بل أوكلوا علم ذلك الى الله وحده. على حين خاض آخرون في هذه المدلولات، واحتملوا لها وجوهاً وأراءولم يجدوا بأسا في تبيان المراد منها كالذي قاله قتادة ومجاهد وابن جريج من آنها من أسماء القرآن، أو انها فواتح يفتح بها القرآن وروى ذلك عن مجاهد ايضا واختاره البلخي، وقال بعضهم هي اسم للسورة وروى ذلك عن زيد بن أسلم والحسن البصري. وقال بعضهم هي اسم الله الاعظم وروى ذلك عن السدى والشعبي، وقال بعضهم هي قسم أقسم الله به وهي من أسمائه، وروى ذلك عن ابن عباس وعكرمة وقيل غير ذلك أيضا.(٩٤).

وقد ضم تفسير «الكشاف»للزمخشري مجموعة من هذه الاقوال والآراء عند تفسيره (الم) من سورة البقرة، (٩٥) ودراسة وافية عن فواتح السور بعامة من حيث ماهيتها واعرابها كما تضمن أمورا أخرى تتعلق بها. وهي دراسة تتسم بالاصالة والعلو في مراتب التحقيق والتدقيق.

٤. ولهما في «المبهمات»(٩٦) القرآنية منهج واضح متميز، وذلك انهما قد ينصان على صاحب المبهم ويشيران اليه، كنص السيوطي على المسائل عن الانفاق في قوله تعالى«ويسألونك ماذا ينفقون»(٩٧) اذ قال : «والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عما ينفق وعلى من ينفق»(٩٨).

---

(٩٤) ينظر تفصيل هذه الاقوال في تفسير التبيان للطوسي ١/٤٧. المتوفى سنة ٤٦٠هـ.

(٩٥) الزمخشرى: الكشاف: ١/٦٠-٨٢.

(٩٦) يراد بالمبهمات القرآنية :أسماء الاشخاص والاشياء التي وردت في القرآن مبهمة دون تبيين، كما في اصطلاح المفسرين والمعنيين بالدراسات القرآنية. وهي كثيرة فمن مثلها: قربان ابني آدم مانوعه؟..وبعض بقرة بني اسرائيل؟ماهو، والذي مر على قرية،من هو؟ وطيور أبراهيم(ع) الاربعة مانوعها؟والمسجد الذي أسس على التقوى ماهو؟. وأشهر من ألف في المبهمات السهيلي وابن عساكر والسيوطي.

(٩٧) البقرة: ٢١٥.

(٩٨) ص ٢٩ من الجلالين.

وكنصه على ان المراد بالقرية«بيت المقدس»،وبالرجل الذي مر على تلك القرية عزير»(٩٩) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: «أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها»؟(١٠٠)وقد ذكر المحلي ان العبدالرباني الذي آتاه الله من عنده رحمة وعلمه من لدنه علما هو«الخضر»(١٠١)، وذلك في تفسير قوله تعالى: «فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما» (١٠٢) . وقد يفصح الجلالان عن المأثور في تبيين هذه المبهمات القرآنية كما في تفسير قوله تعالى: «ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة »(١٠٣). اذ يقول السيوطي :«...سيطوقون مابخلوا به»:أي بزكاته من المال«يوم القيامة»بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث».(١٠٤) فهو هنا يخصص (ما) الموصولة في الآية الكريمة ويكشف عن المراد منها ببيان انها تعني حية في عنق الباخل بماله عن أداء حق الله فيه ، تنهشه يوم القيامة .معتمدا في ذلك على حديث مروي.

وقد لا يحدد المبهم القرآني في الجلالين بل يردد بين ما يحتمله اللفظ أو السياق من وجوه،أو ماتتضمنه الاخبار والروايات من أقوال،فمن مثل النوع الاول ماورد في تفسير قوله تعالى: «قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين» (١٠٥)اذ قال المحلي«قالت احداهما»:وهي المرسلة

(٩٩) تفسير الجلالين: ص ٣٧.
(١٠٠) البقرة: ٢٥٩.
(١٠١) تفسير الجلالين : ص ٢٥٠.
(١٠٢) الكهف: ٦٥.
(١٠٣) آل عمران: ١٨٠.
(١٠٤) تفسير الجلالين : ص ٩١:
والحديث الذي أشار اليه رواه عبد الله بن مسعود عن النبي(ص) وهو: «مامن أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به عنقه» رواه أبن ماجه والنسائي وأبن خزيمة ومسلم.والشجاع: الحية. (المنذري: الترغيب والترهيب ص:١٠٧.
(١٠٥) القصص: ٢٦.

الكبرى أو الصغرى»(١٠٦)فلم يعين القائلة من الفتاتين ابنتي الشيخ الكبير الذي عنه إنه شعيب عليه السلام وقيل ابن أخيه المسمى يثرون أو يثرى(١٠٧)، بل جعل الامر مردداً بينهما لاحتمال السياق ذلك، ولا بد انه لم يجد أثرا يسوغ له القطع بالقائلة منهما.

ومن أمثلة الثاني ماورد في تفسير قوله تعالى: «ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين»، اذ فسر السيوطي «الشجرة» المحرمة الواردة في الآية الكريمة: بالحنطة أو الكرم ثم قال «أو غيرهما»(١٠٨) يريد أو غيرهما مما وردت به الروايات. اذ لا دليل على القول بأنها شجرة الكرم أو الحنطة الا بدليل. وهو الذي ذكر في التفاسير عن عدد من الصحابة والتابعين، وتباينت الروايات فيه، فلم يعد بالامكان الجزم بماهية تلك الشجرة التي حرمت على آدم وحواء.

ومما هو جدير بالذكر أن السيوطي ألف بعد ذلك في مبهمات القرآن كتابه الموسوم: «مفحمات الاقران في مبهمات القرآن»، كما أنه جعل النوع السبعين من كتابه الاتقان خاصا بهذا الموضوع الهام.

٥. وقد عني الجلالان بالقراءات القرآنية عناية واضحة في تفسيرهما، وأولياها ماتستحقه من تبيان وذلك:

أ. انهما يشيران الى القراءات المختلفة المشهورة بايجاز، حين يفسران آي الكتاب الحكيم ولا يضيفان هذه القراءات الى قرائها، بل يكتفيان بالتنبيه عليها.

فالسيوطي مثلا يورد اذ يفسر قوله تعالى: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير..» (١٠٩) القراءة التي قرأ بها اكثر القراء وهي «قتل» ببناء الفعل للمجهول

---

(١٠٦) تفسير الجلالين: ص ٣٢٥.

(١٠٧) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن ٢٠/٣٩-٤٠.

(١٠٨) تفسير الآية ٣٥ من سورة البقرة ص ٧.

(١٠٩) آل عمران: ١٤٦.

ثم يشير الى القراءة الاخرى المشهورة التي قرأ بها اهل الكوفة وابن عامر (١١٠) وهي «قاتل» تلك القراءة التي قرأ بها أيضا عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي ورواها عنه حفص بن سليمان الاسدي الكوفي، والمشتهرة اليوم.

وقد أشار السيوطي الى هذا الاهتمام بالقراءات المشهورة في مقدمة القسم الذي فسره من «الجلالين».

ب- وتفسير الجلالين يربط بين القراءات المختلفة واللغات التي كانت تتكلم بها العرب وقت نزول القرآن. فعندما يفسر السيوطي قوله تعالى: «قل أونبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير يذكر ان في لفظة «رضوان» قراءتين احداهما بكسر فائها والثانية بضمها، بالعباد (١١١)،

ثم يبين انهما لغتان من دون ان يعزوهما الى مصدرهما من لسان العرب.

ومثله ماأورده في تفسير قوله تعالى: «ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر..». (١١٢) اذ بين ان قراءة (يحزنك) وردت بوجهين احداهما «بضم الياء وكسر الزاي» والثانية بفتحها وضم الزاي من حزنه «لغة في أحزنه». (١١٣)

جـ. وهو يربط بين القراءات القرآنية ووجوه الاعراب، كما في تفسير قوله تعالى: «ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية.» (١١٤) اذ يقول السيوطي: «أني»، وفي قراءة بالكسر أستئنافاً (١١٥) «يريد كسر همزة «إن» التي تكسر اذا وقعت في صدر الكلام.

---

(١١٠) ينظر تفسير التبيان للطوسي ٣/١٠.
(١١١) آل عمران: ١٥.
(١١٢) نفسها : ١٧٦.
(١١٣) تفسير الجلالين ص٦١.
(١١٤) آل عمران: ٤٩.
(١١٥) تفسير الجلالين ص ٤٧.

ويقول في تفسير آية اخرى: «ولباس التقوى»: بالنصب عطفاً على «لباساً»والرفع مبتدأ خبره جملة: «ذلك خير ذلك من آيات الله».(١١٦)

د. ويربط بين تعدد القراءات واختلاف المعنى الذي قد يتولد من ذلك، كما في تفسير قوله تعالى: «ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون»(١١٧).

اذ يقول المحلي: «ويقول: «فيه بالنون، أي نأمر بالقول، وبالياء، أي يقول الموكل بالعذاب»(١١٨).

هـ. وقد أهمل تفسير الجلالين القراءات «الشواذ»، فلم ينبه او يشر اليها، كقراءة اليماني(١١٩)مثلا«واذا لاقوا الذين آمنوا قالو آمنا»بدل القراءة المشهورة«واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا».وهو في هذا يؤثر الايجاز أو ذكر الصحيح دون السقيم من القراءات.وقد بينا آنفا ان السيوطي أوضح في مقدمة تفسيره انه نبه على القراءات المشهورة، وهذا يعني بالطبع تركه ماعداها من القراءات الشواذ.

---

(١١٦) ينظر تفسير الآية ٢٦ من سورة الاعراف ص ١٢٥.

(١١٧) العنكبوت: ٥٥.

(١١٨) تفسير الجلالين ص ٣٣٧.

(١١٩) تنظر هذه القراءة في تفسير التبيان للطوسي ١/٧٨.

المصادر والمراجع

١ . ابن القيم (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)ـالروح ـمكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ،القاهرة .ط ٢ سنة ١٩٥٧ .

٢ . ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي)ـشذرات الذهب في أخبار من ذهبـ المكتب التجاري .بيروت.

٣ . ابن الانباري (كمال الدين عبد الرحمن بن محمد)ـالانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين-بتحقيق محيي الدين عبد الحميد .ط٣.سنة ١٩٥٥.مطبعة السعادة بمصر.

٤ . ابن هشام (جمال الدين عبد الله بن يوسف)ـمغني اللبيب عن كتب الاعاريب بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

٥ . الاصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب)ـمفردات ألفاظ القرآن ـتحقيق نديم مرعشلي.دار الكاتبالعربي .مطبعة التقدم العربي ١٩٧٢.

٦ . باشا (اسماعيل بن محمد أمين)ـأيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ـالمكتبة الاسلامية بطهران سنة ١٣٧٨هـ.صورة بالاوفست.

٧ . الحكيم (محمد تقي)ـالاصول العامة للفقه المقارنـدار الاندلس للطباعة والنشر بيروت . ط١ .سنة ١٩٦٣.

٨ . خليفة ـحاجي (مصطفى بن عبد الله)ـكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنونـالمطبعة الاسلامية بطهران ـط٣،سنة ١٣٨٧هـ.

٩ . الذهبي(محمد حسين) ـالتفسير والمفسرونـط١ ،سنة ١٩٦١.

١٠. الزرقاني (محمد عبد العظيم)ـ مناهل العرفان في علوم القرآنـدار احياء الكتب العربية ـالقاهرة.

١١. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)ـ البرهان في علوم القرآنـ بتحقيق أبي الفضل ابراهيم .ط١ سنة ١٩٥٧.دار احياء الكتب العربية.

١٢. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)ـالاتقان في علوم القرآن ـمطبعة البابي الحلبي .ط ٣ . سنة ١٩٥١.

١٣. السيوطي—(عبد الرحمن)والمحلي (جلال الدين محمد بن أحمد)— تفسير الجلالين —المطبعة اليوسفية بمصر ١٩٦٧.
١٤. السيوطي —لباب النقول في أسباب النزول—مطبعة البابي الحلبي بمصر. ط ٢ . سنة ١٩٥٤.
١٥. السيوطي — نظم العقيان في أعيان الاعيان—مكتبة المثنى ببغداد بالاوفست عن طبعة المطبعة السورية الامريكية بنيويورك.
١٦. الصاوى (أحمد) —حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين—مطبعة الاستقامة .القاهرة ،سنة ١٩٥٦.
١٧. الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير)—جامع البيان في تفسير القرآن—دار المعرفة ،بيروت ط٢ بالاوفست ١٩٧٢ عن طبعة بولاق.
١٨. الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن) —التبيان في تفسير القرآن —طبعة النجف ،١٩٥٦.
١٩. عطية الله (أحمد)—القاموس الاسلامي — الناشر مكتبة النهضة بمصر، ١٩٦٣.
٢٠. الفيروز آبادي (مجدالدين محمد بن يعقوب)—القاموس المحيط والقابوس الوسيط دار العلم .بيروت .
٢١. القيسي (الشيخ قاسم) —تأريخ التفسير—مطبعة المجمع العلمي العراقي. سنة ١٩٦٦.
٢٢. المنذرى (أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى)—الترغيب والترهيب— تحقيق محيي الدين عبد الحميد . ط ١،سنة ١٩٦٠.

دوائر المعارف والمجلات:

٢٣. دائرة المعارف الاسلامية —ترجمة محمد ثابت الفندى وجماعته.صورة بالاوفست لطبعة سنة ١٩٣٣،طهران.
٢٤. رسالة الاسلام ،مجلة كلية أصول الدين ببغداد، العددان ٣و٤،سنة ١٩٧١م.